وابتناء المكارم وصدق الاخاء وشدة القصد واجابة السائل وعدم المن والعدل في حالتي الغضب والرضا وايتاء ذي القربى ومجانبة الفحشاء والمنكر والبغي

فاذا عاملت فلم تظلم ووعدت فلم تخلف وحدثت فلم تكذب ووقرت من فوقك ولنت لمن دونك واحسنت موافاة اكفائك فقد كملت مروءتك

فتجمل بما يحسن من معالي الامور ولا تجهل ولا تبخل

وان غرست جميلا فاسقه غدقا

من المكارم كي ينمو لك الثمر

ولا تشنه بمن انهم ذكروا

من عادة المن ان يؤذي به الشجر

واعلم ان المروءة لا تصلح بغير العفة

الباب الخامس

(في العفة)

العفة الكف عن المحرمات واجتناب الشبهات (١)

---

(١) الشبهة عدم التيقن من حرمة الشيء أو حله وقد تكون

واحب عفة الى الله والناس عفة البطن والفرج

فكن بعيداً عن الحرام وما يقبح من ذيء الامور ضابطا لشهوتك (فان دواعي الشهوات ان اتصلت بها حاجاتها كانت كالحطب للنار)

رب مستور سبته شهوته

قد عرى من ستره وانتهكا

صاحب الشهوة عبد فاذا

ملك الشهوة أضحى ملكا

ودع مايريبك الى مالايريبك واتق الشبهات فمن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام

واحذر النظر الى ما لايحل النظر اليه ذلك أزكي لك وأطهر واياك واياك والخمر فانه يسقط ويفسد المروءة

﴿ الخمر ﴾

الخمر ماخامر اللب والعقل وخالطه وغيره عن حاله

الشبهة فى العقل أو فى الحل أو فى الملك أو فى عمد القتل ولكل تفصيل لاسعة لبيانه

الاولى وكل مسكر خمر

هو مذهب الجاه جالب الردى مسبب البغضاء مجانب الايمان مورث الخبال مقرب المنون

به من الكؤولات السمية مايفتت الكبد ويحرق الدم ويعطل القلب ويقلل عمل الكليتين ويضعف عصب العين وهو رجس من عمل الشيطان فاجتنبه وكن صائنا لعرضك حافظا لمروءتك فمن شرب الخمر عدم الاولى واضاع الثانية (١) وخرج عن العزة ولذة الحياة الى الخسة والذلة وألم العيش

اهجر الخمرة ان كنت فتى

كيف يسمى فى جنون من عقل

وحذار حذار من الربا ان كنت من المؤمنين

﴿ الربا ﴾

الربا الزيادة وهو فضل خال عن عوض شرط لاحد العاقدين أو ان تأخذ مبلغا لزمن معين نظير مبلغ آخر من جنسه

---

(١) الاولى أي العرض والثانية المروءة

وهو رذيلة من فاحش افعال اليهود قديما وقبيح ماسلف من أعمالهم ولما جاء الاسلام هدم هيكله لان مآله الى الدمار والخراب واوجب على الحكام ان يمنعوه ولو بالسيوف والحراب

اجمعت على تحريمه الكتب السماوية واتفق على قبحه وذمه عقلاء الموسوية والعيسوية والمحمدية

فاتق الله ودع مابقى من الربا ان كنت صادقا فى ايمانك فان لم تفعل فأذن بحرب من الله ورسوله وان تبت فلك رأس مالك لا تظلم ولا تظلم

وقل لمن معك من محبيك ان لايأكلوا الربا فالذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس وقد لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه والمحلل له

واعلم ان الربا متعامل به قوم من الاقوام الا وبدت فيهم جرائم العداوة والبغضاء والخصام ومحيت الشفقة والرحمة من صدورهم وتمكنت القسوة من قلوبهم

وجانب الطمع فانه لايجتمع مع حرذى مروءة

﴿ الطمع ﴾

الطمع طلب الشيء باجتهاد فى اصابته مع عدم الرضا بقليله أو كثيره وهو مفتاح التعب ومطية مساوي الاخلاق ودليل لؤم النفس ودناءة الهمة

فاياك والطمع فانه يظهر السفه ويذهب القيمة ويحجب عن ادراك الحقائق ويبعد عن لذة العيش ويوقع فى حرمة المكسب ويدفع الى نظر ما فى أيدى الناس ويدعو الى ذل السوآل الذى هو اشد على الحر من الموت

لا تحسبن الموت موت البلا
وانما الموت سؤآل الرجال
كلاهما موت ولكن ذا
أشد من ذاك لذل السؤآل

واذا كنت ممن يكره العيب فاجتنب الحرص والطمع واتباع الهوى والمطل بالوعد

والزم القناعة تحرز الراحة فالقناعة كنز لا يفنى

﴿ القناعة ﴾

القناعة الرضا بالحال مع عدم التألم والتمنى والشره وهى من عظيم الخلال الجميلة واسمى الخصال الجليلة

بها عز النفس والقدرة على متابعة الحق والغنى عن الناس

ان القنوع الغنى لا كثرة المال

فاستغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن أسيره واحسن الى من شئت تكن أميره واقنع بما قسم لك تكن أهنأ الناس عيشا واقرهم بالا واحسنهم حالا واكملهم محاسنا وخيرهم نفسا واكرمهم طبعا وارفعهم ذكرا واعظمهم شأنا فليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس

ان القناعة من يحلل بساحتها

لم يلق من دهره شيئاً يؤرقه

وان اردت ان تنبعث نفسك الى اكتساب القناعة فانظر الى ما بها من عز الاستغناء والى ما بالطمع من ذل

الهون [١] والمسألة والزم القصد فى حالتي غناك وفقرك فأصل القناعة الاقتصاد

﴿ الاقتصاد ﴾

القصد والاقتصاد التوسط والاعتدال فى الامور وتدبير المال لتثميره وتوفيره

وعرف بانه حد بين السرف والتبذير والامساك والتقتير [٢] فالمقتصدون هم الذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما

فاذا اردت التحلى بفضيلة الاعتدال فليكن انتفاعك بقدر نفقتك ومعيشتك بقدر مكانتك ومنزلتك وخرجك أقل من دخلك ولتدخر بعض اجرك لفاقتك وشدتك

---

(١) الهون بضم الهاء الهوان والاستخفاف والمهانة الذل والضعف والهون بالضم غير الهون « بفتح فسكون » الذي هو السكينة والوقار ومنه وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً

(٢) الامساك والتقتير الشح والبخل

أنفق بقدر ما استفدت ولا

تسرف وعش صاح عيش مقتصد (١)

من كان فيما استفاد مقتصداً

لم يفتقر بعدها الى احد

ولا تبذر تبذيراً (٢) ن المبذرين كانوا اخوان الشياطين

ومامن تبذير الا والى جانبه حق مضيع ومادخل تبذير فى كثير الا هدمه ولادخل تدبير فى قليل إلا اثمره (٣)

واياك والسرف فما من مسرف الاذل بعد عزه واهين بعد اعتباره وسقط بعد رفعته واحتقر بعد احترامه

ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولاتبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسوراً (٤) فما أحسن القصد فى الغنى وما أحسنه فى الفقر وما أحسنه فى العبادة

---

١ صاح أي ياصاحبى وياصاحبى وهو منادى مرخم حذف آخره جوازاً للتخفيف

(٢) التبذير والسرف صرف المال وتفريقه وانفاقه بغير حيطة وروية

(٣) التدبير استعمال الرأى والنظر فى عواقب الامور بمعرفة الخير

(٤) ملوما معنفاً ومعاتباً من غيرك ومحسوراً تعباً متلهفاً على ما كان محتقراً مهاناً

انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس فما أعال من اقتصد

واطلب الغنى باصلاح ماف يدك بحسن تقديرك فحسن تقديرك نصف مكسبك وهو قوام معيشتك فلا خير فيمن لايحفظ ماله ليصون به عرضه ويستغنى به عن لئام الناس ويصل به الاهل والرحم

صلة الرحم

رحم المرء أهله وأقاربه وصلة الاهل والأقارب التودد اليهم والتقرب منهم ودوام زيارتهم والعمل لاستمالتهم والمحافظة على كرامتهم والعناية فى تفقد أحوالهم ومواساة ضعيفهم ومساعدة فقيرهم وهى خير ما به يتملك واعجل الطاعة ثوابا

فاذا سرك ان يبسط لك فى رزقك وان ينسأ[1] لك فى اثرك فصل رحمك فأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله

---

(١) ينسأ لك يبارك ويؤخر

واعلم ان قطع الرحم كبيرة وأن الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل(١) ويفسدون فى الارض أولئك هم الخاسرون أعمالا وان أفضل الناس أتقاهم لله(٢) واوصلهم لرحمه وآمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر وان أحق الناس بالصلة والبر الوالدان

﴿ بر الوالدين ﴾

بر الوالدين مقابلتهما بجميع ما يحسن من لين القول وطلاقة الوجه ونهاية الطاعة وامتثال الاشارة والخضوع لارادتهما والتأدب بين ايديهما والجد فيما يجلب سرورهما ويذهب اكدارهما ويتقى به غيظهما وغضبهما والعمل لما يرفع شأنهما ودوام الدعاء لهما وعدم ايذائهما وهو افضل من الصلاة والصدقة والصوم

فان لهما ما استطعت وامطف عليهما ما قدرت فالرضا من الله والناس فى رضائهما كما ان النعيم والقبول تحت

---

(١) أن يوصل أى من والرحم والاهل والاقرباء

(٢) اتقاهم أطوعهم لامتثال اوامره واجتناب نواهيه

أقدامهما (١)

وصاك الله بهما اذ حملتك امك وهناً على وهن (٢) وتعبا على تعب وقرن شكرهما بشكره بقوله ان اشكر لى ولوالديك لانهما سبب حياتك وأصل نعمتك العاملان لحفظك وسلامتك الساعيان فى مرضاتك الدائبان في سعادتك (٣) المجدان فى نعيمك وراحتك فاعظم القربى وافضل الخيرات هو برهما (٤) والانفاق عليهما اذا كبر احدهما او كلاهما وما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين

عليك ببر الوالدين كليهما

وبر ذو القربى وبر الاباعد

واعلم ان احب عمل الى الله الصلاة فى اوقاتها وبر الوالدين وان اكبر الكبائر عقوق الوالدين (٥) وقتل النفس واليمين

---

(١) ومنه حديث الجنة تحت اقدام الوالدين وفى رواية تحت أقدام الامهات

(٢) الوهن الضعف (٣) الدأب التعب والجد والنصب

(٤) برهما طاعتهما

(٥) العقوق جحود الاحسان والمخالفة وعدم الطاعة

الغموس (١)

فلا تقل لهما أف(٢) ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما

واخفض لهما جناح الذل من الرحمة

وان جاهداك على أن تشرك بالله ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب (٣)

وبرهم بعد موتهم (٤) كبرك حال حياتهم وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً

كانا اذا ما أبصرا بك علة

جزعا لما تشكو وشق عليهما

كانا اذا سمعا أنينك أسبلا

دمعيهما أسفا على خديهما

---

(٢) اليمين الغموس الذى يغمس صاحبه فى الاثم والذنب والخطيئة ويمين الغموس تعمد الحلف كذباً

(٣) التأفف التوجع والتضجر والتألم

(٤) اناب رجع وأقبل وتاب

(٥) البر هنا الاحسان

وتمنيا لو صادفا بك راحة

بجميع ما يحويه ملك يديهما

بشراك لو قدمت فعلا صالحا

وقضيت بعض الحق من حقيهما

وان علوت عن ابيك قدراً وسموت جاها وذكراً

فاقن التواضع خلقا لا تزاله

عنك الليالى ولو ألبسنك التاجا

فالتواضع فى الناس رفعة

﴿ التواضع ﴾

التواضع خفض الجناح (١) ولين الجانب مع سعة الخلق وهو سبب العز والرفعة وأصل المروءة والسعادة

ورأس التواضع ان تضع نفسك عند من دونك فى نعمة الدنيا حتي تعلمه ان ليس لك عليه بدنياك فضل مع حفظ كرامتك واحترام مكانتك

---

(١) خفض الجناح التذلل والخضوع مع السماحة وهو من امهات حميد الاخلاق

فاتضع للناس ان رمت العلا

واكظم الغيظ ولا تبدى ضجر (١)

واخفض جناحك لمن اتبعك ولو كنت فظاً (٢) غليظ القلب لانفضوا من حولك . . واحترم الكبير والصغير والجليل والحقير تجتمع القلوب على حبك فى بعدك وقربك وكن جميل المعاشرة جواداً من غير سرف رحيما لكل ذى قربى شديداً من غير عنف بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوس فاكرم الناس اوسعهم خلقاً واكثرهم بشراً وتبسما وانبساطا وأفضل الرجال من تواضع عن رفعة وعفا عن قدرة وانصف عن قوة

ولا تقطع اخا لك عند ذنب (٣)

فان الذنب يغفره الكريم

---

(١) كظم الغيظ تجرعه وحبسه ومنع اظهاره .. والضجر الملل والقلق

(٢) الفظ الغليظ الجاف الطباع

(٣) القطيعة الصد والهجر (*) العنف الشدة والرحيم العطوف ذو الرقة والعطف والشفقة والرحمة

ولا تعنف عليه وكن رحيما (*)

فقد بالرفق تلتئم الكلوم (١)

وبالجملة

تنزه عن الدنيا وكن متواضعاً

عفيفاً ولا (٢) تسحب ذيولا من الكبر

فان تك في الدنيا حليف تكبر

فانك في الاخرى اقل من الذر

والكبر داع الى الذلة والمسكنة

﴿ الكبر ﴾

الكبر رد الحق وعدم قبوله واحتقار الخلق واستعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير صفاتا وكمالا وهو آفة

---

(١) الكلوم الجروح

(٢) العفيف من كف نفسه عن الحرام وباشر الامور على وفق الشرع والمروءة وهو منتهى الظرف

ليس الظريف بكامل فى ظرفه حتي يكون من الحرام عفيفا

فاذا تعفف عن معاصي ربه فهناك يدعى فى الانام ظريفا

كبيرة وغائلة هائلة (١) ودليل خبث الدخلة ورداءة النفس ولؤم الاخلاق

من ضروريانه ولوازمه الحقد (٢) والغل (٣) والغيظ (٤) وازدراء الناس وما من خلق ذميم (٥) الا وصاحب الكبر متصف به مضطر اليه ليحفظ عزة نفسه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عن ادراكه وكفي بالمرء إثما اذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم

فنق قلبك من الكبر فانه يظهر في قيامك وقعودك (١) وحركاتك وسكناتك وافعالك وسائر تقلباتك ولا تغرنك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور (٢) فقد خسر من كان في

---

(١) الغائلة المهلكة والهائلة المهولة المخيفة المفزعة

(٢) الحقد طلب الانتقام

(٣) الغل الضغن والضغينة العجز عن سرعة التشفي

(٤) الغيظ الغضب العجز أيضاً ...

(٥) الذميم القبيح

(١) الاثم هنا مايجب التحرز منه شرعا وطبعاً

٢ الغرور سكون النفس الي ما يوافق الهوي ويميل اليه الطبع

قلبه مثقال ذرة من كبر (١)

ولا تصعر خدك (٢) للناس خيلاء واعراضا ولا تمش في الارض مرحا وتيها (٣) انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا

ولا تمد عيناك عن الناس زهوا واعجابا (٤) تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع متكبرا أغفل الله قلبه عن ذكره واتبع هواه ولا تظلم الناس شيأ فان اقرب الاشياء صرعة صاحب الظلم (٥)

﴿ الظلم ﴾

الظلم والجور وضع الشيء في غير موضعه والتعدي عن الحق الى الباطل . . . أو هو مجاوزة الحد والتصرف فيما ليس

---

١ الذر صغار النمل

٢ تصعير الخد ميله أو امالته كبراً

٣ المرح شدة الزهو والفرح

(٤) الاعجاب والعجب تصور استحقاق الشخص رتبة ومكانة لا يكون مستحقاً لها

(٥) صرعته وقوعه ورميه والصرع داء ومرض مشهور

لك وهو مسلبة النعم ومجلبة النقم ومفسدة الاعمال واكبر مانع عن اكتساب الفضائل واسرع عامل للبوار والدمار (١)

فلا تعجل على أحد بظلم

فان الظلم مرتعه وخيم

وكف نفسك عن القبائح (٢) واذاك عن اكفائك (٣) ونظرائك ودع الاستطالة عليهم تحب وتؤلف

وجانب الاعجاب والغرور يعطفون عليك ويميلون بكلياتهم اليك والا قوبلت بالمقت والازدراء وعوملت بالقطيعة والجفاء

وابتغ الوسيلة (٤) الى ما يستطاع من العدلة ان كنت في مقام رئاستك ودع الشدة الا فى مواضعها فان أشد الناس اثما وكراهة وبغضا من اشركه الله في سلطانه فجنح (٥) فى

---

(١) الدمار والبوار الهلاك

(٢) كف نفسك امنعها واحفظها

(٣) اكفائك امثالك

(٤) ابتغ الوسيلة اطلبها واتخذها

(٥) جنح ومال واجحف وجار وظلم وقسط كلها بمعنى

حكمه وجار فى معاملته واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا

وكن صادق الولاء (١) والاخلاص فى طاعتك وعملك واياك (٢) والمبالغة في الخصومة فان المبالغة فيها منتهى الظلم ولا شيء أضر على الظالم من ظلمه

تنام عيناه والمظلوم منتبه

يدعو عليه وعين الله لم تنم

ولا تكافيء ظالما بظلمه فان الله يمهل على الظالم حتى اذا أخذه لم يفلته وسس الناس بالعدل فانه السنن الا هدى (٣) والطريق الاقوم (٤)

---

(١) الموالاة المصافاة والحب والاخلاص

(٢) اياك احذر وهى من أسماء الافعال وأسماء الافعال ثلاثة أقسام اسم فعل ماض كهيهات بمعنى بعد وشتان بمعنى افترق واسم فعل مضارع كوي بمعنى اتعجب وأف بمعنى أتضجر واسم فعل أمر كاياك بمعنى احذر ومه بمعني امتنع الى آخر مالا محل لايراده

(٣) السنن بالفتح الطريق

(٤) الأقوم الأكثر استقامة واعتدالا